جمالية الصورة التشبيهية في سورة البقرة

الدكتور حميد رضا مشايخي
أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مازندران، إيران
Mashayekhih@umz.ac.ir
الدكتور مهدي شاهرخ
أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مازندران، إيران
M.shahrokh@umz.ac.ir
بهاء ماجد حميد
طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مازندران، إيران
Phaaa563@gmail.com

The beauty of the metaphorical image in Surat Al-Baqarah

Dr. Hamid Reza Mashayekhi
Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature,
University of Mazandaran , Iran
Dr. Mehdi Shahrokh
Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature,
University of Mazandaran , Iran
Bahaa Majid Hamid
PhD student , Department of Arabic Language and Literature,
University of Mazandaran , Iran

الملخص:-

إن تشبيهات القرآن الجمالية في سورة البقرة تعد من أبرز مظاهر البلاغة والإعجاز اللغوي في القرآن الكريم. فهي تستخدم الصور الجمالية لتوصيل المعاني والدروس بشكل فعال وجذاب للقارئ. وقد رسمت التشبيهات القرآنية لا سميا في هذه السورة أروع الصور الجمالية في ضرب الأمثال لأن يستفاد منها للتذكير والوعظ والحث والزجر، ولإبراز خفايا المعاني ورفع استار محجبات الدقائق وتؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء نفسه ولهذا استكثر الله سبحانه وتعالى من ذلك في كتابه العزيز ونظرا إلى أهمية التشبيه ودوره الفني في سورة البقرة نسعي في هذه الرسالة لتسليط الضوء على الصورة التشبيهية وبيان جماليتها في هذه السورة عبر المنهج الوصفي التحليلي.

وخلص البحث إلى ان صورة التشبيه في السورة تعددت وكان من ابرزها تشبيه الله والمؤمنين والمطر والمنافقين... ومن جمالية التشبيهات التي وردت في السور المدنية في القرآن الكريم، تجد أن الله تعالى يصف القرآن بأنه كالمطر الخفيف العذب الذي ينزل من السماء ويحيي الأرض الجافة، وهذا يعكس عظمة وجلال الكلام القرآني وقدرته على تجديد الحياة. كما وردت التشبيهات التي تصف المؤمنين بأنهم كالزرع الصالح الناضج الذي ينمو ويزدهر تحت أشعة الشمس، وهذا يعكس قيمة وأهمية الإيمان والطاعة في حياة الإنسان. بهذه الطريقة، تعد التشبيهات الجمالية في السور المدنية دليلاً على عظمة القرآن وروعة بيانه، وتعمل على تأثير القلوب والعقول وتوجيهها نحو الخير والصلاح.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الصورة الفنية، التشبيه، سورة البقرة.

Abstract:-

The aesthetic similes of the Qur'an in Surat Al-Baqarah are among the most prominent manifestations of eloquence and linguistic miracle in the Holy Qur'an. They use aesthetic images to convey meanings and lessons in an effective and attractive way to the reader. The Qur'anic similes in this surah have drawn the most wonderful aesthetic images in striking examples to be used for reminders, preaching, urging and deterring, and to highlight the hidden meanings and lift the veils of the veiled details and affect the hearts in a way that the description of the thing itself does not affect. For this reason, Allah Almighty has increased this in His Noble Book. Given the importance of similes and their artistic role in Surat Al-Baqarah, we seek in this thesis to shed light on the simile image and explain its beauty in this surah through the descriptive analytical method. The research concluded that the image of similes in the Surah was multiple, and the most prominent of them was the simile of God, the believers, the rain, and the hypocrites... Among the beauty of the similes that appeared in the Medinan Surahs in the Holy Quran, you find that God Almighty describes the Quran as being like the light, sweet rain that descends from the sky and revives the dry land, and this reflects the greatness and majesty of the Quranic speech and its ability to renew life. Similes also appeared that describe the believers as being like the good, ripe seed that grows and flourishes under the sun's rays, and this reflects the value and importance of faith and obedience in human life. In this way, the aesthetic similes in the Medinan Surahs are evidence of the greatness of the Quran and the magnificence of its statement, and work to influence hearts and minds and direct them towards goodness and righteousness.

Key words: The Holy Quran, artistic image, simile, Surat Al-Baqarah.

المقدمة:

إن الهدف من الدراسة الرغبة في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، واحياء ونصرة نبينا محمد ﷺ، وارتباط التشبيهات والدراسات البلاغة بالقرآن الكريم في سور البقرة الوقوف على أسرار البلاغة والتشبيهات في السور المدنية وما تحتوي من سحر وبيان، لأن العلم بحر فياض لا ينتهي مداده ولا ينضب معينه إثراء مكتبتنا العربية ببحث مختص في التشبيهات القرآنية وارتباطها بالسورة.

الصورة الفنية:

الصورة الفنية انها: «ابراز المعنى العقلي أو الحسي في صورة محسة، وهي خلق المعنى، والافكار المجردة أو الواقع الخارجي من خلال النفس خلفا جديدا» (الزيات، ١٩٦٧، ص٦٢).

تعتبر الصورة الفنية في الآيات القرآنية من اهم الجوانب التي تعطي للقران الكريم جمالا وعمقا، فالقرآن الكريم يحتوي على صور غنية ومفصلة توصف الامور والحالات بشكل تفصيلي وواقعي مما يجعل المعنى يتجسد امام عين القارئ بوضوح وان هذا المشهد يشعر بالراحة والسكينة، ويعكس الجمالية اللغوية في القران الكريم وقدرتها على ايصال الرسالة بشكل فعال وجذاب للقلوب، وان الصورة الفنية في الآيات القرآنية تعكس عمق الكلمة وجمالها وتجعل القراءة تجربة ممتعة ومعبرة.

فالصورة « عرض اسلوبي يحافظ على سلامة النص من التشويه، ويقدم المعنى بتعبير رتيب وهي تعد طريقة لاستحداث خصوصية التأثير في ذهن المتلقي بمختلف وجوه الدلالة التي يستقيها من النص في منهج تقديمه وكيفية تلقيه، وما يحدثه ذلك عنده من متعة ذهنية أو تصور تخييلي نتيجة لهذا الغرض السليم» (عصفور، ١٩٩٨، ص ٣٦٢)

وهكذا التصوير الفني هو الاداة المفضلة في اسلوب القران، فالقران الكريم يتضمن العديد من الصور والتصوير الفني الذي يعكس جمالية اللغة العربية وعمق المعاني التي تحملها الآيات، فالقران وآياته غني بالصور البديعة والاخلاقية ومن امثلة ذلك:

- صور البستان والانهار الجارية في الجنة التي تعكس الجمال والنعيم

- التصوير الجميل للنجوم والسماء، ليدل على الخلق العظيم والقدرة اللامحدودة لله سبحانه وتعالى.
- وصف البحر الهادىء والمتلاطم، ليظهر قوة الله وعظمته.
- التصوير الدقيق للحشر يوم القيامة، بوصف الجنة والنار والحساب والعسر

كل هذه الصور والتشبيهات تعبر عن عظمة الله ورحمته وعدالته، وتجعل قراءة القرآن تجربة جميلة وملهمة لكل مسلم.

ومن تعريفات التصوير الفني عند سيد قطب: «يجب ان نتوسع في معنى التصوير حتى ندرك افاق التصوير الفني في القرآن، فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل، كما انه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات، وموسيقى السياق في ابراز صورة من الصور، تتملاها العين والاذن، والحس والخيال والفكر والوجدان» (قطب (١٩٧٨، ص ٣٣)

الصورة التشبيهية في سورة البقرة:

رسمت التشبيهات القرآنية أروع الصور الجمالية في الأمثال. لأنه يُستفاد منه أشياء كثيرة، مثل: التذكير، والوعظ، والحث، والتوبيخ، وإيصال المقصود إلى الأذهان، وتصويره في صورة المحسوس، «فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص، لذلك فتثبت في الاذهان ومن ثم كان الغرض من المثل: المبالغة في الايضاح والبيان »٤، والغرض من عرض الأمثال أنها تؤثر في القلوب بما لا يصح وصف الشيء في نفسه. «لذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ما هيته، ويصير الحس مطابقاً للعقل وذلك في نهاية الايضاح »٥ ومن هذه الأمثال القرآنية من السور المدنية ما يلي:

أولاً: تمثيل نور الله

وقد استخدم القرآن مشاهد الطبيعة المحيطة بالإنسان، المدركة بحواسه وأطرافه، في مجال السمو المطلق والتجريد الكامل، ليأتي بمعنى النور كصفة للذات الإلهية، خالية من كل شبه، أقرب إلى وعي الإنسان المحدود وخياله المحدود لهذا النور الإلهي والإشعاع الإلهي المطلق، فهو نور الله في الكون. بسمائه في نورها المادي، ومع الشمس والقمر والكواكب

والنجوم، ومع أرضه في نورها المعنوي بالحق والخير والعدل والعلم والهدى والأخلاق والفضائل، وبكل علامات العظمة. والقدرة في خلق الله، فهو نور الله المطلق في كل وقت، نور الله في نفسه وفي رسله وفيه. كتابه الذي هو أيضاً نور إلهي يشرق ويتلألأ في صدر المؤمن وقلبه.

هذه الآيات تصور النور الإلهي:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ كَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور، ٣٥)

بدأت الأبيات الكريمة بالنور وانتهت به لترسم الدائرة التي يتم ضمنها التصوير الأدبي. فلما اختير النور قدوة لهداية المؤمن، كما اختير الظلمة قدوة لضلال الكافر، وفي شعاع النور المشرق يسير العقل المهتدي في أمان، وفي ظلمة الكفر العقل الضال يتخبط ويرتبك ويرتبك. وإذا كان الله نور السماوات والأرض فقد جعل النور مثلا للهدى بما استمده من نور وهدى من طريق.، «وهذا النور الهادي إلى الايمان مثله في قلب المؤمن» (البيومي، ٢٠٠٠، ص ٧٠) كمثل مشكاة كوة بلا نوافذ في الحائط فيها مصباح منير داخل زجاجة شفافة، والزجاجة كالكوكب الديري و وجلاله يشبهه بكوكب ليس له الشمس والقمر لانهما «يلحقهما الخسوف والكسوف بخلاف الكواكب» (المنصوري، مصطفى، ٢٠٠٠، ص٦٥) فيشرق نور ذلك. يتكاثر المصباح نتيجة اختراق الضوء وانكساره عبر الأسطح الزجاجية المتعاقبة عدة مرات، وفي اتجاهات مختلفة، مما يزيد من تألقه وضيائه، خاصة وأن هذا المصباح يضاء بزيت خاص يتميز بصفاته ونقائه، وهو يسبب شدة إضاءته «وهو شتى الاتجاهات فتغمرها نورا ويتضاعف النور ويتراكب نور على نور حيث يجتمع نور السراج وحسن الزجاج، وصفاء الزيت، ليكون نور الله الذي يهدي به من يشاء» ومن مجموع هذه العناصر تتشكل صورة كاملة لهذا النور الإلهي الذي لم تتبين صورته إلا بعد استكمال هذه العناصر:

أي أن هذا النور الذي شبهه الحق هو نور مزدوج، يجمع فيه المصباح والقارورة

والمصباح والزيت والزيتون. فليس الشرقي الذي يحرم ضوء الشمس عند غروبها، ولا الغربي الذي يحرم ضوء الشمس عند طلوعها. ولو كان المصباح في مكان ضيق كالمحراب، لكان له كل الضوء غير المكان. فهو واسع فإن الضوء ينتشر فيه، والمصباح هو أعظم شيء في زيادة الإدارة، كما هو الزيت وصفاؤه. والمثل يهدف إلى توضيح المجهول، ونور الله لا يمكن إدراكه. البصر، ونور الله يقصد به الهداية.

ثانيا: وصف النساء

لقد وصف القرآن الكريم المرأة لأغراض إنسانية واجتماعية نابعة من مبادئ الدين، فمن خلالها يحمي الرجل نفسه ودينه من الوقوع في الحرام. ولم يصف القرآن جمالها الحسي، بل وصف جمالها النفسي والمعنوي. وقد شبهها القرآن باللباس مرة وبالحرث مرة أخرى.

الآيات التي وصف فيها الله النساء:

- قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة، ١٨٧)

"هنا "وصف الله تعالى النساء باللباس، «واللباس فيه يعني الحفظ والحماية من الأخطار، وفيه معنى التجميل والزينة في أعين الناس، وفيه معنى حفظ العورات، وما لا يجب أحد أن يطلع عليه الناس، وشبه القرآن النساء باللباس للرجال، ثم شبه الرجال باللباس لهن. لأن كلا منهما يحفظ الآخر ويحميه ويزينه»(المطعني (١٩٩٢، ٢/٢٤١)

ثالثاً: تصوير أعمال المؤمنين

وتضرب الأمثال القرآنية أروع الأمثلة على الإنفاق الخالص في سبيل الله عز وجل، ومضاعفة الأجر لمن شاء، وأكثر.

قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ

وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. (سورة البقرة ٢٦١)

وفي هذه الآية "صور الله صورة المنفق في سبيل الله بصورة من زرع بذرة، والحبة الواحدة تضاعف في سبعمائة حبة، والله يضاعف على حسب حال المنفق، إيمانه". والإخلاص ونفقته، ويضاعف بلا عدد ولا حساب. إن المشهد الحي الذي يقدمه التعبير القرآني هو مشهد حياة تتطور.، مشهد الطبيعة

الحية، مشهد الزرعة الواهبة، ثم مشهد العجيبة في عالم النبات العود الذي يحمل سبع سنابل والسنبلة التي تحوي مائة حبة، إنه يعرض صورة من صور الحياة النابضة المعطية الواهبة « صورة الزرع، هبة الأرض أو هبة الله الزرع الذي يعطي أضعافا ما يأخذه، ويهب غلاته مضاعفة بالقياس إلى بذوره »(سيد قطب، ١٩٩٨، ١/٣٠٦)

يعرض هذه الصورة الموحية: «مثلاً للذين ينفقون أموالهم وأنفسهم في جهاد أعداء الله؛ أي: في طاعته ومرضاته، وأولاها إنفاقها في الجهاد في سبيله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، ويحتمل كمثل حبة من حبات الحنطة أو الشعير، أو غير ذلك من نبات الأرض فكذلك المنفق ماله على نفسه في سبيل الله له أجره سبعمائة ضعف على الواحد من نفقته » (الطبري، ١٩٩٥: ٥/٥١٣)

وهذا التشبيه " إحضار الصورة المضاعفة بهذا المثل، الذي كان العبد يشاهده ببصره فيشاهد هذه المضاعفة ببصيرته، فيقوى شاهد الإيمان مع شاهد العيان، فتنقاد النفس مذعنة للإنفاق سامحة بها مؤملة لهذه المضاعفة الجزيلة والمنة الجليلة، والله يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء؛ أي«: بحسب حال المنفق وإخلاصه وصدقه، ويحسب حال النفقة وحلها ونفعها ووقوعها موقعها، وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل، الأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة » (ابن كثير، ١٩٩٧: ١/٥٩١)

وبذلك " يعطيهم أجرهم بغير حساب، والله واسع الفضل، واسع العطاء، فلا يتوهم المنفق أن تلك المضاعفة فيها نوع مبالغة؛ لأن الله تعالى لا يتعاظمه شيء ولا ينقصه العطاء على كثرته ومع هذا فهو عليم بمن يستحق هذه المضاعفة ومن لا يستحقها، فيضع المضاعفة

في موضعها لكمال علمه وحكمته). وعلى هذا فإن الإنفاق في سبيل الله يرده الله مضاعفاً، وما دام الله يضاعفه فهو يزيد؛ لذلك لا تحزن ولا تخف على مالك؛ لأنك أعطيته لمقتدر قادر واسع عليم، إنه الحق الذي يقدر على إعطاء كل واحد حسب ما يريد هو سبحانه؛ إنه يعطي على قدر نية العبد وقدر إنفاقه، وهذه الآية تعالج قضية الشح في النفس الإنسانية؛ فقد يكون عند الإنسان شيء زائد، وتشح به نفسه ويبخل، فيخاف أن ينفق منه فينقص هذا الشيء، وهنا تقول لك قضية الإيمان: أنفق لأنه سبحانه - سيزيدك، والحق سيعطيك مثلما يعطيك من الأرض التي تزرعها، أنت تضع الحبة الواحدة، فهل تعطيك حبة واحدة؟ لا، إن حبة القمح تعطي كمية من العيدان، وكل عود فيه سنبلة وهي مشتملة على حبوب كثيرة، فإذا كانت الأرض وهي مخلوقة الله تضاعف لك ما تعطيه، أفلا ضاعف العطاء لك من خلقه؟ إذا تضاعف لك بعض خلق الله فماذا عن الله عز وجل؟ علا؟! وهو كريم جداً « فيكون مثل المتصدق كمثل الزارع، اذا كان الزارع حاذقا في عمله ويكون البذر جيدا وتكون الارض عامرة، ويكون الزرع مخصبا طيبا، فكذلك المتصدق، اذا كان صالحا والمال طيبا ويوضع في موضعه فيصير الثواب اكثر » (السمرقندي، ١٩٩٧: ١/٢٧١)

«وقد ضرب الله مثلا للنفقة في سبيل الله بالحبة، لانه يبارك في تلك النفقة، فيزداد وينمو على ما بارك في حبة واحدة فصارت سبعمائة واكثر فهذا تصوير مادي جميل محسوس لثواب الانفاق في سبيل الله وزيادته واجره، اذ هو الواسع الفضل الكريم العليم بكل شيء » (الماوردي، ١٩٩٨، ٢/٢٦٥)

فهذا التمثيل هو تصوير للمضاعفات كأنها موجودة بين يدي الناظر، والله يضاعف ذلك الضعف أو فوقه إلى ما شاء الله تعالى. ولو علم طالب الزيادة أنه لو زرع بذرة واحدة أخرج له سبعمائة بذرة، لم يكن ليهمل ذلك، ولا يتهاون فيه. على نفس المنوال. فلا ينبغي لمن يطلب الأجر من الله في الآخرة أن يترك الإنفاق في سبيل الله، إذا علم أن له عشرة ومائة وسبعمائة، والله يضاعف لمن يشاء. فيضاعف الشيء أضعافا مضاعفة، ويبارك فيه، ويزيد في بركاته من حيث لا يحتسب. كل هذه القيم الأخلاقية انبثقت من وراء التركيب الجمالي للتشبيه.

٢ - ومن قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة البقرة، ٢٦٥)

« وابل: مطر عظيم القطر، طل: مطر صغير القطر » (الزمخشري، ١٩٩٨: ١/٢٧٩)

وفي هذه الآية « صور القران الكريم الصدقات التي تنفق ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا لانفسهم على الايمان كمثل صاحب بستان في مكان مرتفع معرض للشمس وهو كالجنة فالجنه فوق ربوة والوابل يصيب الجنة فيمتزج بالتربة ويخرج اكلا ولو ان هذا الوابل لم يصبها فان فيها من الخصب والاستعداد للانبات ما يجعل القليل من المطر يهزها ويحيها فالوابل يروي ويخصب » (قطب، ١٩٧٨، ص ٣٥- ٣٦)

والوابل« في الحالتين مثمر، وكذلك الانفاق الخالص لله، البعيد عن المن والاذى وللرياء ينمو عند الله كثيراً كان الانفاق أو قليلا، والله بما تعملون بصير فلا يخفى عليه شيء » (محمد (٢٠٠١، ص ١٩٢)

وتاكلها مرتين، أي أن ثمارها تتضاعف لخير أرضها، ووجود الأسباب المقتضية لذلك، وحصولها على الماء الوفير الذي ينبتها ويكملها. إذا لم يضربها المطر، فسوف تسقط. أي أن القليل من المطر يكفي لخير بذوره. وهذا حال الموافقين، الذين ينفقون كثيرًا وقليلًا، كل على حسب حاله، وكل إنسان يحصل على أكمل وأكمل تنمية مما ينفق. وبهذه الصفة من الدار يهرع الناس إليها، ويتدافع الجميع إليها، ويدور القتال عليها، مع انقضاء هذا البيت، وفناءه، وكثرة مصائبه، وشدة شدته ومشقته، وهذا الجزاء الذي ذكره الله، كأن المؤمن ينظر إليه بعين البصيرة الإيمانية، الدائمة والمستمرة فيه كل أنواع الملذات والأفراح، وبهذا. تجد النفوس نائمة أمامه، وتقرر أن تطلبه خاملًا. فهل ترى في ذلك زهداً في الآخرة ونعيمها، أم ضعفاً في الإيمان بوعد الله ورجاء ثوابه؟! وإلا فلو أيقن العبد بذلك حقاً، واعتقده بصدق قلبه، لم تخرج من قلبه أذى الشوق إليه، واتجهت إليه عزمه، وخاضعت نفسه له. وذلك بالنفقات الكثيرة على أمل الثواب.

أو مثل حالهم أمام الله في الجنة على ربوة، ونفقاتهم الكثيرة والقليلة بسبب المطر والندى، أي بالكثير والقليل، وكما أن كل من ينال المطر يضعف نصيبه من الجنة، كذلك أيضًا. هو إنفاقهم، كثيراً أو قليلاً، بعد ابتغاء به وجه الله عز وجل، خالصًا عند الله، فائضًا عن رضاهم. والله بما تعملون بصير. أفعالك مستمرة الزيادة والنقصان ويعلم نواياكم في النفاق والصدق وكذلك «إن هذه الجنة تثمر في كل حال، ولا يخيب صاحبها، سواء قل

المطـر أو كثـر، كـذلك يضـاعف الله ثـواب صـدقة المـؤمن قلـت نفقتـه ام كثـرت » (الواحدي،٢٠٠٦: ١/٧٢)

إن الله لا يضيع "صدقة مؤمن صادق في صدقته وإنفاقه لا يضر ولا يضر وكان الله بصيرا" ماذا تفعل." وهذا يعني أن الله تعالى لا يخفى عليه نفقة المؤمن الصادق في صدقته التي لا يضره ولا يضره. وهنا "الإنفاق تم على وجه فرح النفس وكرمها به، لا على وجه تردد النفس وضعفها في العطاء، وذلك لأن الإنفاق يتعرض للإغراء. إما أن يقصد به مدح الناس ومدحهم، وهو النفاق، أو يخرجه عن ضعف وضعف عزيمة وتردد، فهؤلاء آمنون. ومن هاتين الفتنتين أنفقوا ابتغاء مرضاة الله، لا لغرض آخر، وتأكيدا لأنفسهم، فمثل نفقات هؤلاء كالحديقة. أي: أشجار كثيرة كثيرة الظل. قال جابر: «الندى مثل الفريضة، والمطر مثل التطوع معهم، ومعناه أن حق من ينفق ماله أن يطلب التطوع والفريضة، فإن من لم يجتهد فيهما جميعا لم يمتنع عن الفريضة، لافتا إلى أن الواجب هو ما لا بد منه. ومواصفات التل لأن تأثير الشمس أعظم عليه، ولأنه قد ينقطع عن التل يحترق ويدل غطاءها النباتي على تعرضها المستمر للمطر والندى.

رابعاً: تصوير المنافقين

ويصور القرآن الكريم حالة المنافقين المخادعين عند دخولهم عالم الإيمان وظهورهم في الإسلام وتأكلهم دماءهم. ومن يحرقها يمثل النار، وصورها في حيرتهم وترددهم أشبه بقوم أصابهم مطر شديد فأظلمت الأرض، ورعدت السماء بعنف، وهذا ما يزعج قلوبهم بالخوف، ومن بينهم صفات. - وأيضاً - التمرد على رسول الله ﷺ، والسب والتعالي على عامة الناس. ليحصلوا لأنفسهم على مكانة باطلة في أعين الناس، كما وُصفوا بالصم عن الحق لا يسمعونه، والبكم عن الخير فلا يقولونه، والعمى عن سبيل الهدى.، فلا يرونه. ومن صفاتهم التي تثير السخرية والسخرية أن الله -سبحانه- وصفهم بالفراغ، والجبن، والجبن، وبأنهم خشبة مسندة لا تفهم. لا شيء، فهي أجساد تبهر الأبصار، وإذا تكلمت تخلو من كل معنى، ومن كل حاسة، ومن كل جوهر. وإليكم الأدلة القرآنية التي تبين حال المنافقين.

١ - يقول الله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾. (سورة البقرة، ١٧٠)

إنه يمثل الله تعالى «بأمثال وصور بديعة يرسمها في لوحات فنية لا أجمل ولا أبهى، حال هؤلاء المنافقين الذين يخادعون في استفادتهم المؤقتة من كلمة الإيمان التي على ألسنتهم، ثم ما يلبث الكفر الذي يضمرونه في قلوبهم ان يسد عليهم كل المسالك، فيرتدوا إلى الحيرة والتخبط »(السيد (١٩٩٦، ص ٧٤)

وكما تصورهم الآية فإن حالهم عندما دخلوا عالم الإيمان ثم خرجوا منه كرجل في الظلمة أشعل ناراً فأضاءت ما حوله، ثم أطفأ هذه النار عمداً، فعاد مرة أخرى إلى الظلام. وقد سمى الله تعالى الإيمان في البداية ناراً، ثم يصبح نوراً. لأنها تنير للمسلم جميع جوانب حياته، ومن ثم ينشر النور؛ لأنه لا نور إلا نور الله، فهو نور واحد لا ثاني له. ومع ذلك، عندما يتحدث عن الظلام، فإنه يأتي دائمًا بصيغة الجمع، "ظلمات". وهي ظلمات كثيرة، ظلمات الكفر والنفاق والهوى والشهوة، وظلمات أخرى كثيرة. وهكذا في القرآن الكريم، النور مرفوض فقط. مفرداً، والظلمات إلا جمعاً، وصور المنافقين في تزينهم بمظهر الإسلام، وسفكت دماءهم على ما اظهروا «"فمثل ما تجملوا به من الاسلام كمثل النار التي يستضيء بها المستوقد» (سورة البقرة ١٨)

وكذلك "شبه حالهم ووصفهم بحال الذي أوقد ناراً، وأما التشابه بينهم وبين الذي أوقد ناراً ففيه أوجه عدة منها:

الأول: أن الذي يوقد النار يدفع بها الأذى، فإذا أطفأت وصل إليه الضرر. وكذلك المنافق يسفك دمه مدعيا الإسلام، ويستحله بالكفر المطلق.

الثاني: أنه يهتدي به، وإذا انطفأ ضل. وكذلك المنافق يهتدي بالإسلام، فإذا علم بنفاقه ضل. وانقطع عنه نور الإسلام، فعاد إلى ظلمات الكفر.

الثالث: إذا لم يزودها بالحطب ذهب نورها. وكذلك المنافق إذا لم يدوم الإيمان ذهب إيمانه.

الرابع: أن المستنير بها يستقبل نوره من جهة غيره، لا من جهة نفسه، فإذا ذهبت النار

بقي في الظلمة وكذلك المنافق إذا أقر بلسانه أنه لا يؤمن بقلبه كان نور إيمانه كالمعار

خامساً: شبه الله نهجهم للمسلمين بالنور، وللمشركين بغياب نورهم.

السادس: شبه الهدى الذي باعوه بالنور الذي جاء للذي أحرق الموقد، والضلالة التي اشترت بالظلمة.

سابعا: انه مثل ضربه الله تعالى للمنافق « لانه اظهر الاسلام فحقن به دمه، ومشى في حرمته وضيائه ثم سلبه في الاخرة عند حاجته اليه النور عنهم »(ابن حيان، ١٩٩٧، ١/٢٠٩)

وكذلك" « يجوز ان يكون ذهب الله بنورهم في الاخرة، وسلب الكافرين ذلك النور » البغدادي، ٢٠٠٠، ص ٢٧)، اي ان: «هؤلاء الكفار الذين استبدلوا الكفر بالايمان، ودفعوا الهدى ثمنا للضلالة، فخسروا هذه الصفقة حالهم في نفاقهم، وابطانهم الكفر كحال من اوقد نارا ليستدفىء بها ويستضيء واضاءت النار ما حوله مما يخاف ويحذر»(الواحدي،٢٠٠٠، ١/٩٣)

فان هذه النار «ما كادت تشتعل حتى انطفات، وخبي نورها فتركته في ظلام دامس، وخوف ورعب شديد، لا يبصر من حوله من شدة هول الظلمة »(سيد قطب، ١٩٩٨، ١/٤٦).

- قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

فالصيب هو المطر،« وهو على وزن " فيعل "، من صاب يصوب صوبا: إذا نزل من السماء" » (ابن قتيبة،١٩٩٧: ١/٤٢)

أما «الرعد فهو الصوت الذي يسمع من السحاب، والمراد بالبرق النار التي تخرج منه» (يونس، ١٩٩٦، ص ١٧٠)

أضافت هذه الآية تصوير أعداء الله،" وهم المنافقون واليهود، تصورهم "« في حيرتهم، وترددهم كمثل قوم أصابهم مطر شديد أظلمت له الأرض، وأرعدت له السماء رعداً قاصفاً، وهو ما يزعج قلوبهم من الخوف، وأبرقت برقاً خاطفاً »(العشي، ١٩٩٩، ص ٧)،

والبرق " «هو ما يلمع في قلوب المنافقين في بعض الأحيان من نور الإيمان وظلمات داجية، وهي الشكوك والشبهات، وصواعق عائية تجعلهم يضعون أصابعهم في آذانهم وصوت الرعد أقوى من طاقة الأذن؛ لذلك عندما يسمعه الإنسان يفزع، ويحاول ان يمنع استقبال الاذن له، بان يضع انامله في اذنيه، هؤلاء المنافقون لم يضعوا الانامل بل وضعوا اصابعهم ليسدوها حتى لا تسمع هذه الاصوات المدوية، وحتى يدفعون عنهم خطر الصواعق وذلك مبالغة في تصوير تاثير الرعد عليهم وهم في غاية الدهشة والفزع والرعب »(ابن عباس،١٩٩٠: ٢/٧٨)

لمنع الأذن من استقباله، وذلك بوضع أطراف أصابعه في أذنيه. وهؤلاء المنافقون لم يضعوا أطراف أصابعهم، بل وضعوا أصابعهم؛ لحجبها حتى لا تُسمع تلك الأصوات العالية، وحتى تحميهم من خطر الصواعق؛ وهذا مبالغة في تصوير تأثير الرعد عليهم، وهم في غاية العجب والرعب والفزع. ومن هذه العناصر الجزئية تتشكل صورة شاملة، وهي مشهد غريب مملوء بالحركة، مشوب بالارتباك، فيه ارتباك وضلال، فيه رعب ورعب، فيه هلع وحيرة، زخات مطر من السماء. كثيرة (فيها الظلمات والرعد والبرق) فإذا أظلمت عليهم قاموا. أي أنهم وقفوا متحيرين، لا يعرفون إلى أين يذهبون، وكانوا مرعوبين. وهو مشهد حسي يرمز إلى حالة نفسية، ويجسد صورة عاطفية، وهو جزء من طريقة القرآن الرائعة في تصوير أحوال النفوس وكأنها مشهد ملموس.

الخلاصة: النفاق قد يضيء طريق صاحبه لفترة قصيرة، ثم سرعان ما ينطفئ كالنار، مما يجعل النفاق غير دائم ولا مستمر، وقد يجد المنافق في نفاقه الأمل لتحقيق هدف أو مكسب. مادة رخيصة ثم تبددت.

- قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة ١٣)

أي آمنوا. وآمنوا بمحمد بما جاء من عند الله كما آمن الناس به، وآمنوا به كما آمن الناس بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والجنة والنار وغير ذلك. "قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء" يعني سخط الله لهم، يعني أصحاب رسول الله الذين دخلوا في

السلم كلهم، وفتحوا صدورهم للرسول يوجههم، فاستجابوا بأجمعهم، مخلصين ونزيهين، هؤلاء هم القوم الذين كان المنافقون يدعون إلى الإيمان مثلهم، ولكن من صفاتهم التعالي والاحتقار لعامة الناس، ليكتسبوا لأنفسهم مكانة زائفة في أعين الناس، كانوا يتذمرون منهم هذا الاستسلام لرسول الله ﷺ ورأوا أنه خاص بالفقراء مثل بلال وصهيب وخباب، فسموهم سفهاء استخفافًا بهم، وهذا عندهم لا يليق بأهل المكانة. فاستجاب الله لهم وأخبرهم أنهم هم السفهاء في الواقع؛ لأن حقيقة الحماقة هي جهل الإنسان بمصالحه، وحماقته فيما يضرها، وتنطبق عليهم هذه الصفة منطبقة عليهم

قال الله تعالى: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ (سورة البقرة، ١٨)

الصمم مرض يمنع السمع، وأصله الصلابة وتراكم الأجزاء، ومنها حجر الأصم، وقناة الصماء، وصمام الزجاجة، سدادته. ويسمى فقدان حاسة السمع. لأنه يحدث بسبب ضغط الصماخ الداخلي.

وتكون مخارجها مسدودة بحيث لا يدخل إليها أي هواء تقريبًا، ويصدر الصوت من خلال تموجها. وقد وصف الله المنافقين بأنهم صم عن الحق، فلا يسمعونه سماع القبول لغلبة تخلي الله عليهم، ووصفهم بالبكم: لأنهم خرس عن الخير والحق، فلا يقولون ذلك، والخرس هو في الأساس عدم القدرة على ذلك كلام، و (من هم عميان عن رؤيتهم وفهمهم لأن الله قد ختم على قلوبهم بنفاقهم فهم لا يهتدون). وهو أعمى عن طريق الهدى فلا يرونه. والعمى هو في الأصل عدم بصره عما يجعله يبصر، وقد يقال فاقد البصيرة. لقد تم وصفهم على هذا النحو بينما كانت مشاعرهم المذكورة سليمة. لماذا أغلقوا آذانهم؟

ورفضوا قبول الآيات والأذكار الحكيمة التي تتلى عليهم، ورفضوا استقبالها بالقبول أو التحدث بها ألسنتهم، ولم يتفكروا في ما شهدوه من معجزات ظاهرة على يدي رسول الله ﷺ، ولا نظروا بعين التأمل إلى علامات التوحيد التي ظهرت في الآفاق والنفوس، وأصروا على ذلك لكي لدرجة أنه لم يعد لديهم إمكانية التنصل منه. فصاروا كالذين فقدوا تلك المشاعر تمامًا أي: كانت حواسهم سليمة. أما عندما سدوا آذانهم عن سماع الحق، ورفضوا النطق به بألسنتهم، أو النظر أو الرؤية بأعينهم، فكأنما حرمت مشاعرهم، «" فهم

قد عطلوا اذانهم فهم (صم) وعطلوا السنتهم فهم (بكم) وعطلوا عيونهم فهم (عمي) ، فلا رجعة لهم إلى الحق، ولا هداية لهم إلى النور »(سيد قطب، ١٩٩٨، ١/٤٣)

(فهم لا يرجعون) اي: "« لا يعودون إلى الهدى الذي باعوه وضيعوه أو عن الضلالة التي اشتروها » (المنير، ١٩٩٤: ١/٣٠)

خامسا: تصوير حال الكافرين

وقد وصف القرآن حال الكافرين بالختم على قلوبهم، وغشاوة على سمعهم، وغشاوة على أبصارهم، وأنهم شر الدواب عند الله، ومن صفاتهم أنهم يأكلون كالأنعام، ويستمتعون، ولا يدرون ما مصيرهم يوم القيامة. كما قال الله تعالى يصور حال الكافرين

١- قال الله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة البقرة، ٧)

والختم هو الطبع، والقلب قطعة من الدم الأسود الصلب الجامد. فهو يسكن القلب، وهو قلب يدور. وقيل:«" لأنه خالص البدن، وانما خصه بالختم، لانه محل الفهم "» (ابن كثير، ٢٠٠٤: ١/١٧٤)

ويقول الله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ أي: ان الذين رفضوا الايمان وتجاهلوا الحق واصروا على الكفر والعصيان، ان الله تعالى قد ختم على قلوبهم واذنهم، يعني انهم قد اتوا إلى مرحلة من القساوة والاصرار على الكفر حتى اصبحت قلوبهم مغلقة عن قبول الحق وسمعهم ممنع من استماع الحق وقبوله، وانهم قد جعلوا انفسهم عاجزين عن تلقي الهداية والتوبة.

وقوله: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ أي: ستر وغطا وغطاء يمنعهم من رؤية ما ينفعهم، وهذه وقد سدت عليهم سبل العلم والخير، فلا أمل لهم، ولا يرجى خير، ولكنهم محرومون من ذلك. وتعني الآية ان الله قد اعمى قلوبهم واصم اسماعهم واغشى عيونهم، وهذا يعني انهم قد اغلقوا قلوبهم عن الحق وصدق الايمان، واصموا اذنيهم عن سماع الحق والتوجيه واغشوا اعينهم عن رؤية الحق، وكل هذا بسبب جحودهم وعنادهم وعدم تقديرهم للحق وتحذر الآية الكريمة من ان لهم عذابا عظيما بسبب ذلك الانحراف والتعنت عن الحق،

وعدم التوبة والانابة إلى الله تعالى.

أغلقت عليهم أبواب الإيمان بسبب كفرهم وتكذيبهم وعنادهم بعد أن تبين لهم الحق فلا نور له ولا توجيه لقد ختم الله على قلوبهم، فلا يفهمون الخير. وهذا يعني أن الله طبع عليهم، فجعلهم بحيث لا يخرج منهم ما فيهم من الكفر، ولا يدخلهم ما ليس فيه من

الإيمان. واستهتارهم بالتحذير حتى ساوا بين التحذير وعدم التنبيه. وهي صورة صلبة مظلمة جامدة تتجسد من خلال الحركة الدائمة الحاسمة، وحركة ختم القلوب والآذان، وغشاوة الأبصار.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ تعتبر النهاية الطبيعية للكافر العنيد الذي لا يستجيب للإنذار، والذي يستوي فيه التحذير وعدم الإنذار، كما علم الله من عنادهم). أي: طبع عليها بحيث لا يدخل فيها الإيمان ولا ينفذ إليه، فلا يعتمدون على ما ينفعهم، ولا يسمعون ما ينفعهم، «هؤلاء فيهم في قلوبهم مرض الحسد والبغضاء على أهل الإيمان مع فساد الإيمان، وقد زاد الله مرضهم بنصر الحق، إذ كان هذا أذى لهم بسبب حسدهم وبغضهم وعنادهم. ولهؤلاء في الدنيا عذاب أليم والآخرة؛ بسبب كذبهم وكفرهم.

٢- قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (سورة البقرة، ١٧١)

وترسم هذه الآية صورة بائسة تليق بهذا التقليد، وهذا الركود هو صورة وحش تائه لا يفهم ما يعنيه.

فيقال لها: بل إذا صاح بها راعيها لا تسمع إلا صوتاً، ولا تفهم معناه. بل هم أضل من هذا الوحش، فالوحش يرى ويسمع ويصرخ، وهم الصم والبكم والعميان. فهم صم وبكم وعميان، ولو كانت لهم آذان وألسنة وأبصار، ما لم ينتفعوا بها أو يهتدوا، كأنها لا تؤدي الوظيفة التي خلقت لها، وكما إذا لم يعطوا آذاناً وألسنة وأبصاراً، وهذا هو العار الشديد لمن عطل تفكيره، وأغلق منافذ العلم والهدى، وتلقى أمر العقيدة والشريعة من غير المصدر الذي منه. فينبغي أن يتلقى أمر الإيمان والشريعة تحتوي هذه الآية الكريمة على أكثر من صورة فنية، ولو تأملت هذا التشبيه جيداً للاحظت أنه اعتمد أحد أدوات التشبيه التي يكثر

استعمالها في القرآن الكريم، ونقصد بها عبارة (مثل).، و(المثل) في أصله كلام يمر على الألسنة يتضمن إحدى الحقائق الاجتماعية، ولكنه في اللغة وكثيرا ما يستخدم القرآن أداة تشبيه شيء بشيء، كأن يقول إن الإيمان والكفر متشابهان مثل النور والظلمة، شبهت الإيمان والكفر بالنور والظلمة.

ولكن تجدر الإشارة إلى أن هذا التشبيه قد أضاف إليه تشبيهاً آخر وهو: (الكاف)؛ حيث تستخدم القرآن الكريم فيه تشبيهان في عبارة واحدة، وقد قال الله تعالى: مثل النعيق...إلخ)، وهذا يهدف إلى التأكيد على أن الكفار يشبهون الحيوانات من حيث قلة وعيها، وخصائصها. وهو في تقليدهم لآبائهم وقادتهم، أي:"« كصفة الراعي للبهائم السائمة، ينعق ويصيح بها في سوقها إلى المرعى ودعوتها إلى الماء، وزجرها عن الحمى فتجيب دعوته وتنزجر بزجره بما الفت من نعاقه بالتكرار » (المنار، ٢٠٠٢: ٢/٧٦)

والمثل هنا إذا أضيف إلى {الذين كفروا} من وقد كفر الظاهر في تشبيه حالهم عند سماع دعوة النبي لهم إلى الإسلام بحال الأنعام عند سماع دعوة من يلعنهم من حيث أنهم لا يفهمون إلا أن النبي يدعوهم إلى اتباعه من غير بصيرة دليل على صدقه وصحة دينه. وكل حالة من الأحوال المشبوهة والحالة المشتبهة تشتمل على أشياء الداعي والداعي والدعوة والفهم والإعراض والعزيمة، وكل من هذه الأشياء التي هي أجزاء من التشبيه المركب يصلح للتشبيه. جزء من أجزاء مما يشتبه فيه، وهذا من أبدع التمثلات، وقد لخصته الآية بطريقة رائعة. والمراد ابتداءً هو التشبه بحال الكفار لا محالة، وهذا يقتضي قياساً على حال النبي وحال دعوته. والكفار هنا حالتان: "«أحداهما حالة الإعراض عن داعي الإسلام، والثانية حالة الإقبال على عبادة الأصنام."» (ابو السعود، ٢٠٠٠: ١/١٩٠)

ومعنى المثل هنا - كما قال سيبويه -«" أن صفة الكفار وشأنهم كشأن الناعق بالغنم، فهو كالحيوان يرضي بالا يكون له فهم ولا علم، بل يقوده غيره ويصرفه كيف يشاء ».

والكفار مثل الغنم التي لا تسمع صوت الراعي، كما لا تسمع الغنم. أهمية الكلمات التي أرسلها الراعي. وكذلك الكفار لا يدركون أهمية الكلام الذي يوجهه لهم الداعية الإسلامي، وهذا ما توحي به طبيعة الصور الرمزية التي أعقبت التشبيه المذكور، صم بكم عمي فهم لا يعقلون) "« ومن أسرار التشبيه الذي قارن بين الكافر والحيوان، خاصة وأن

التشبيه المذكور أعقبه ثلاث صور رمزية، تصف الكفار {بالصم والبكم والعميان} حيث جانس النص القرآني الكريم بين تشبيهم بالاغنام، وبين كونهم صما عن سماع الخير، بكمًا عن النطق به، وعمياً عن النظر اليه » (السعدي، ١٩٩٨: ١٠/٨١)

النتائج:

تعد التشبيهات القرآنية في سورة البقرة من أبرز مظاهر الجمال اللغوي والأدبي في القرآن الكريم. فالله سبحانه وتعالى يستخدم فيها أساليب التشبيه ليجعل القارئ يستوعب المعاني بشكل أعمق وأوسع.

في وصف المرأة، ورد في القرآن الكريم تشبيهات رائعة تصف جمال وأنوثة المرأة، لأن التشبيه يعكس جمال النساء وجذبهن الذي يكون محل إعجاب وشغف الناس.

أما في وصف الجنة، فالقرآن الكريم يستخدم التشبيهات السماوية النابعة من الجنة، وهذه التشبيهات تعبر عن جمال ورونق الجنة الذي يفوق كل تصورات الإنسان.

أما في وصف حال المنافقين، فيظهر القرآن الكريم تشبيهات تعبر عن النفاق والخداع، وهذه التشبيهات تعكس حقيقة المنافقين وزيف أقوالهم.

في وصف أعمال المؤمنين، يوضح القرآن الكريم التشبيهات التي تعبر عن ديناميكية ونشاط المؤمنين في سبيل الله، وهذه التشبيهات تعبر عن قوة وإيمان المؤمنين وجهودهم الجبارة في سبيل الله.

بهذه الطريقة، تبرز جمالية التشبيهات القرآنية في سورة البقرة في وصف المرأة، ووصف الجنة، وحال المنافقين، وأعمال المؤمنين، مما يجعل القرآن الكريم مصدراً ملهماً للمؤمنين ومادة خصبة للتفكير والتدبر.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتديء به القرآن الكريم

١. عصفور، جابر، ١٩٩٨، الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي.

٢. سيد قطب، ابراهيم، ١٩٧٨، التصوير الفني، الطبعة الرابعة، دار الشروق

٣. البيومي، محمد رجب، ١٩٩٧، البيان القرآني، د الدار المصرية اللبنانية.

٤. المنصوري، مصطفى، ١٩٩٦، المقتطف من عيون التفاسير، تحقيق: محمد الصابوني، دار السلام

٥. يونس، عبد، ١٩٩٩، التصوير الجمالي في القرآن الكريم، بيروت، دار صادر.

٦. الزحيلي، وهبة، ٢٠٠٠، التفسير الوسيط، د دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى

٧. الزمخشري، ابو القاسم جار الله محمود، ١٩٩٥،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مكتبة مصر.

٨. البغدادي، ابن ناقيا، ١٩٩٨، الجمان في تشبيهات القرآن، منشأة المعارف الإسكندرية.

٩. الواحدي، على بن محمد بن على، ١٩٩٥، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى.

١٠. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، ١٩٩٨، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت ، دمشق، الطبعة الثانية

١١. السيد، شفيع،٢٠٠٠، التعبير البياني، الطبعة الرابعة، دار الفكر العربي.

١٢. الرازي، الامام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، ٢٠٠٢، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: اسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

١٣. النيسابوري، نظام الدين الحسين بن محمد، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤. السعدي، عبد الرحمن، ٢٠٠٤، تفسير كلام المنان، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى

١٥. ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل، ١٩٩٩، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية

١٦. السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد ابي الليث ١٩٩٧ تفسير السمر قندي المسمى بحر العلوم، تحقيق: د محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

١٧. البغدادي، ابو الحسن على بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، ١٩٩٨، تفسير الماوردي، النكت والعيون، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

١٨. ابو حيان الاندلسي، ٢٠٠١ محمد بن يوسف الشهير، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، لبنان، دار الفكر

١٩. السعدي، عبد الرحمن، ٢٠٠٤، تفسير كلام المنان، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى

٢٠. سيد قطب، ابراهيم ٢٠٠٥، في ظلال القران، دار الشروق، الطبعة الخامسة والثلاثون.

٢١. رشيد، بن على رضا، محمد ١٩٩٠، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط.